

## لا تعود الى الماضي حين تذهب في العودة

انها تنهض ، او تواصل النهوض .

واذا كانت غائبة عن المشاهدة ، فذلك لا يعني انها كانت نائمة . انه يعني ان الحواس التي تعاملت معها كانت ناقصة . والحلم لا يهرب بقدر ما يطالب بجرح . من هنا تبدأ العلاقة ، ولكن لا تؤرخوا بدايتها ولا تتكهنوا بنهايتها ، فمثل هذه الدائرة لا تكفي . حلم يلد حلما فيتناسل . وفي عمليات الولادة يسقط دم على الحجارة فتصير الى عصافير . وفي عمليات الولادة تصدر صرخة فتصير العصافير الى حجارة . شيء من التبدل يحول الاشياء لتحيا ، ويبقى خارج العادة الموروثة . تسكننا الدهشة الدائمة والتوتر ازاءها . وهكذا تنهض في التحفز الى الحياة التي لا تأتي الينا بقدر ما نذهب اليها . عند هذا اللقاء نجد فلسطين .

هي الصليب ؟ كانت . فليس بوسع حيويتها ان تتحمل هذا الحاجز في الشعر والواقع . يومها كانت ترضى بالصورة لانها كانت تحتاج الى حنان او عطف . فللموع التي تأخذ صيغة الدم سحر سابق . والا فكيف كان من الممكن تسميتها ضحية . وهذه هي التقاليد : عمر ينبق على البحث عن تسمية حتى لو كانت سلبية ، لان بلوغ هذه السلبية سن النضج هو الحالة الطويلة ، ممرات الدم ، دهايز المذاب التي يتكون فيها جنين الايجابية او شرعية الفعل . حزين هو التاريخ . ولكن فلسطين هي الحزن .

سمت نفسها بصعوبة ، واستندت الى تقيضها - البندقية . من علمها التشهير برموزها؟! الا تلاحظون ، مرة اخرى ، اننا لم نفهم .. لان الحواس التي نتعامل بها مع هذا الجسد الزمني والروحي معالا تزال ناقصة ؟ وهذا هو السر : ليست هذه الاشكال بنادق . انها سفر الصليب في الزمن الاسود . انها اغصان الزيتون كما تبدو في الليل الهابط . انها الصدى الذي اعترضته قافلة كبيرة من قطاع الطرق ، فاحتال عليها بنبرات تفهمها فتمضي خائفة . ويأتي صوت البراءة الاول في

تناغمه مع الشجر والاطفال والصبح القادم . هذه هي فلسطين الليلة . تحارب الحرب بالحرب لانها السلام .

وهكذا مشت خطسوة ضد الجاهز في الشعر والواقع . خطوتها زمن ، وعذابها مكان يرتدي زي الاحلام . كيف تعود الى العودة - الماضي ، وهي تتقدم في الزمن - الانجاز ؟ هكذا يسأل أصحاب الحواس الجاهزة لادانة فلسطين . اذا كان الجرح ادانة فقد ادانت فلسطين نفسها قبل ان يدينها الآخرون . ولكن فلسطين لا تعود الى الماضي حين تذهب الى العودة . فهذا الماضي صورة تجريبية للقد . الحنين هوية الشيوخ في بحثهم عن كنز فقدوه . ولكن فلسطين الجديدة ، بأطفالها الذين لا يعرفون تفاصيل المشهد ولا يجلسون في الحنين ، هي صناعة الانجاز ، وهي حرية الاختيار لا صدفرة الوراثة ، ان عودة هذا الفلسطيني الجديد هي عملية نمو وتصاعد من قاعدة هي الماضي الذي لا يعني عمرا سابقا ، ولكنه يعني المكان الذي سنمارس فيه ابداع المستقبل .

ليست العودة ردا على الرحيل . والا فستكون مقايضة ايام او جهات . وهذا الفارق تصنعه الثورة . بالثورة تفيّر لفظة العودة معناها الوراثة وتشنح نفسها بالامام . تصير : ذهابا الى فلسطين المستقبل . لان الانسان الذي تخلقه الثورة هو انسان منجز لا وارث . لا يقيس مسافته بالمعنى الاقطاعي للتراب . وانما يقيس جدارته بما يستطيع ابداعه على هذا التراب . يكون حرا على تراب محرر . ان اشم عبير البرتقال - ليس هذا وطننا .

وهكذا مشت فلسطين خطوة اخرى ضد الجاهز في الشعر وتقليد الماضي . ومن جراحتها هي اعدت المغفرة للقادمين الى الصواب والقد . وتفوقت على ذاتها حين الفت ماضي الغزاة بمستقبلها ، ولم تدخل الحلبة من حيث شاء الغزاة . هناك في بقعة الماضي كانت قوتهم الظاهرية وهزيمتهم التاريخية معا . قوة تدمر نفسها لانها ظلم ولانها قدم لا جدة ، لانها تبيد لقدرات وطاقت

الذي ولد خارج فلسطين ولم يشاهدها أبدا . لان علاقته بفلسطين لا تحتاج الى مناقشة واجتهاد .

لقد سخط رهان صهيوني آخر على ذاكرة المولودين بعد الكارثة . كان احتلال النسيان الفلسطيني أملا اسرائيليا ، فحولته المقاومة الفلسطينية الى صدمة . ولقد برهن سؤال أولاد الاسرائيلي عن علاقته بالارض على ان قدرة الفزوة على التناسل لا تلد حقا . لان علاقته الوحيدة بهذه الارض هي علاقة اغتصاب وطدتها سهولة الحروب السابقة . وحين تعرضت الوسيلة شبه الوحيدة ، وهي الحرب ، الى عمليات خدش صارت العلاقة كلها مهددة بالسقوط . ولكن علاقة الولد الفلسطيني بالارض هي علاقة حق وطدتها الثورة وحولتها الى مستقبل .

هكذا ، يولد الطفل الفلسطيني في المستقبل . ويمضي الفزوة الصهيوني في اتجاه الماضي . وهكذا ، عادت فلسطين بكامل حضورها . لقد تهجت اسمها بصعوبة بعدما قطعوا لفتها . لقد سمت نفسها ، بالصبر والقتال ، وسافرت الى مستقبل القيم الانسانية على الارض التي لا تشبه الارض . كأنها تنمة جسد . كأنها افتتاحية صلاة .

وهذه هي قصيدتنا التي لا تنتهي ، لانها دائمة البداية .

بيروت

## اعلان من الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

تصدر مجلة « اقليم » ومجلة « المثقف العربي » اللتان تصدران عن وزارة الاعلام في العراق عددين خاصين في الاسبوع الاول عدد كانون الثاني (يناير) القادم باشراف الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، فنرجو من الاعضاء المساهمة بارسال :

- ١ ( قصائد .
- ٢ ( قصص .
- ٣ ( مسرحيات .
- ٤ ( دراسات ادبية عن الشعر والقصة والمسرحية الفلسطينية .
- ٥ ( دراسات سياسية وروائيتين .
- ٦ ( مقابلات مع شعراء وقصاصين ومفكرين .

يجب ان تسلم المواد قبل الخامس والعشرين من تشرين الثاني القادم .

امين السر : حنا مقبل

تصبح اوهى من قشة ، في حساب الحلم والتاريخ ، حين تعادي المستقبل . اي نجاح احرزته اعداء فلسطين ؟ هل كان غير انجاح في اثبات الخطأ ؟ لقد جاء هذا الضعف لان هذه العوة جاءت من نسخ الماضي وحده .

لقد تفوقت فلسطين على ذاتها وعلى اعدائها ، حين عرفت كيف تكون نقيض الرهان الذي يستدرجها اليه الاعداء . وهكذا اعدت المفخرة : فلسطين وطن الذين يستحقون ان يعيشوا فيها بجدارة المنافسة على جبهات والانسجام مع رموزها .. السلام والعدل والحرية . ان حريتها النبيلة تحت هذه الاقانيم تحرير لضحاياها من كل الاطراف والجنسيات . هل رايتم ماذا تفعل فلسطين العرب ؟ انها تحرر اليهود مع العرب في ذهابها الى المستقبل وتعفيهم من حرفة الماضي .

جميلة من كل الجهات ، ولكنها من الامام اخصب . ليس الجمال فضيلتها الوحيدة ، على الرغم من انها مشروع جنه . ان الصراع الذي يدميها يزيد اخضرارها ولرائحه اشجارها نكهة انسانية ، ولصخورها فجيرة القلوب . ولهذا كانت فضيلتها الاكبر قدرة الضحية فيها على النهوض الدائم . حتى تحولت ملامح الطبيعة فيها الى تنمات بشرية . هل يتمكن الظلم من اليقظة حين يتمكن من ابادة العدل فيها ؟ اما زالت الانسانية قادرة على الرفض امام حملة الشر المدججة بكل عبقرية صناعة انقهر ؟ هذه هي الاسئلة التي اجابت عنها فلسطين المقاتلة بهذا الحضور المدهش في العصر .

بعد حوالي ربع قرن من سكون الضحية الخادع تأخذ الصورة هذا البعد : فلسطين المقاتلة من الصفر ، تصارع النقيض المطمئن الى النصر . لقد خطفت فلسطين اعداءها الى واقعة الرؤى : كنتم تبنون على رمل . وكانت هذه الوقفة امام الافق تعطي هذا المشهد : يرى الفلسطينيون نهاية مأساتهم ، ويرى الاسرائيليون بداية خيبتهم . وقد تمر حروب اخرى بين هذه البداية وتلك النهاية . ولكن الاسرائيليين صاروا عاجزين عن تحقيق النصر ، لان اي نصر آخر سيكون أسوأ من هزيمة الوقوف امام واقعة الرؤى : وماذا بعد ؟ . وهي الهزيمة الحتمية التي يقودها اليهم كل نصر جديد .

لم يتورط احد بالنصر ، كما يتورط فيه اعداء فلسطين . وحتى الآن ، يمكن القول ان هزيمة الفلسطينيين كانت اقوى لهم من انتصار الاسرائيليين بالنسبة لمستقبلهم . مفارقة ؟ كلا . انها حتمية الباب المسدود امام الفزوة . كان الفزوة محتاجين الى اربع حروب كي يصل الجيل الاسرائيلي الجديد الى هذا السؤال المفاجيء : ما هو الوطن ؟ ولم يكن الجيل الفلسطيني الجديد بحاجة الى شيء خارق ليعرف ما هو الوطن . تلك هي المفارقة : الجيل الاسرائيلي الجديد المولود في فلسطين هو الذي يسأل عن علاقته بهذه الارض التي لم يشاهد غيرها . ولا يسأل السؤال ذاته هذا الجيل الفلسطيني الجديد